

سيمياء لغة الجسد بين ثنائية المرسل والمستقبل

Body Language Semiotic between the binary sender and receiver

مختاري محمد *

جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس، الجزائر

mokhtarim551@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/06/10	تاريخ القبول: 2021/11/11	تاريخ الإرسال: 2021/08/03
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

يتفق الباحثون حول أهمية اللغة البشرية المنطوقة التي لا جدال في احتلالها صفوة وسائل التواصل الإنساني، غير أن أدوات التواصل الأخرى حظيت هي أيضا باهتمام كبير مؤخرا ونخص بالذكر اللغة غير اللفظية وتحديدًا لغة الجسد، لأن العصر الحديث عرف تطورًا كبيرًا في مجالات استعمالها كالمسرح والسينما والإعلام وفنون الأدب وغيرها من الحقول الأخرى، ما جعل ضرورة الالتفات إلى دراستها فهما وتأسيسًا لإيجاد أرضية سانحة لبناء تواصل أكثر سلاسة؛ يشار أيضًا أن لغة الجسد هي لغة استعمالية تداولية حاملة للدلالة يبلغ بها المرسل رسالته ويمكن للمرسل إليه أن يستجيب باستعمالها هو الآخر، والبحث عن سيميائيات هذه اللغة يكون عن طريق الوقوف على استعمالها في موقف تواصل بين طرفي التلقي.

الكلمات المفتاحية: سيميائية؛ لغة الجسد؛ تواصل؛ مرسل؛ مستقبل.

Abstract: Researchers agree on the importance of spoken human language, which is undisputed as the leader in human communication, But other communication tools have also received considerable attention recently, We refer to non-verbal language, specifically body language, Because the modern era has evolved considerably in its use, such as theater, film, media, literature, etc... That's why it's necessary to study understanding and proving to find a good ground to build a smoother communication.

It is also indicated that body language is a translational language with connotation, that allows the sender to send his message to the receiver who can also respond using it, And the search

for the semiotics of this language is by using it in a communication position between the receiving parties.

Keywords : Semiotic, body language, communication, Sender, receiver.

مقدمة:

عرفت الدراسات اللغوية حديثاً تطوراً ملحوظاً، من خلال ما توصل إليه الباحثون من نظريات علمية، وهذا راجع لما يفرضه التطور السريع في شتى المجالات خاصة مع تطور التكنولوجيا ومواكبتها لظهور تخصصات جديدة، وتعد لغة الجسد من بين اهتمامات الدارسين كونها أضحت تستعمل وتتداول في حقول أدبية كالفنون الشفهية نحو الخطابة والمناظرة وغيرهما، إضافة إلى حقول خارجة عن الأدب مثل الإعلام وفنون العرض.

انطلاقاً مما سبق حاولت بعض العلوم اللغوية التي تتقاطع مع لغة الجسد ومنها علم السيميائيات أن تستنبط كنه دلالتها وأبعادها التواصلية وتربطها مع جماليات تلقيها بين طرفي التلقي وهما المرسل والمرسل إليه، وهذا ينطلق من البحث عن ماهيتها وتحديد أهميتها ووسائلها ودرجة تحقيقها للفهم والإفهام ومدى ارتباطها باللغة اللفظية والمنطوقة، وحاولت هذه العلوم أيضاً القيام بدراسة مقارنة ومقارنة لهما وغيرها من الخطوات التي تبحث عن تحديد نجاعتها التواصلية ومدى إمكانية الحكم على أهميتها، فتوجب الالتفات إلى مثل هذه الجهود، فكان الإشكال المطروح الذي يواجهه هذه الدراسة هو ما مدى قدرة البشر على التواصل بلغة الجسد؟ وهل يمكن أن تحقق الفعل التواصلية تماماً مثلما يحققه الملفوظ؟ وما مدى أهمية استعمال هذه اللغة كما وكيفاً؟ وما هي آليات القبض على دلالتها وقراءتها دقيقة في موقف تواصلية يصبو إلى الفهم والإفهام وإيصال المقصد؟

كانت هذه بعض الأسئلة وأخرى دافعا لبناء فرضية تتمحور حول ترجيح الكفة بين اللغتين وفرضية تحيل إلى تغليب إحداها على الأخرى، ودراسة لغة الجسد سيميائياً لا يختلف عن دراسة الملفوظ، وحاول البحث الإجابة عن هذه التساؤلات بدء من: البحث عن أنماط التواصل البشري في شقيه اللفظي وغير اللفظي، أما التركيز على اللفظي منه فتم من خلال المستويات اللسانية ويخص بالذكر اللفظ والخط، وأما الجانب غير اللفظي فتم الاقتصار على لغة الجسد منه دون الأشكال الأخرى؛ ثم كان الانتقال إلى دواعي استخدام لغة الجسد كلغة وظيفية، مروراً بأدواتها الإجرائية مع بيان أهمية الصورة الجسدية في بناء جسد الدلالة؛ ثم توج الجانب النظري بدراسة تطبيقية على موقف يستحضر طرفي التلقي يتسم بحضور استعمال لغة الجسد، وكان الاقتصار على العين دون الأعضاء الأخرى لأن المقام لم يتسع ليشمل كل أعضاء الجسد ودلالاته المتعددة؛ وختاماً كان ذكر ما توصل إليه البحث من عصارة على شكل نتائج ذيلت في خاتمته.

1. أنماط التواصل البشري :

1.1 المستويات اللسانية في اللغة البشرية اللفظية والخطية وأدواتها الإجرائية في التواصل :

تتخذ اللغة أشكالاً تعبيرية مختلفة تحاول أن تقضي إلى معنى أو السعي لتحقيق دلالة أو مقصد، بيد أن اللغة من منظور لساني تتألف من بنية معقدة ومركبة من علامات، وفي اللغة الملفوظة والصورة الخطية لها تتمحور دلالاتها وتنقسم إلى مستويات " فثم مستوى صوتي يبنى عن دلالة صوتية، و ثم مستوى صرفي يتشكل من دلالة صرفية، و ثم مستوى معجمي تتشكل فيه دلالة معجمية، و ثم مستوى تركيبى يمكن استشراف دلالة تركيبية فيه " ¹، وينتج عن كل مستوى لساني مما ذكر دلالة وهي العامل المشترك والمحصّل عليه لكل استعمال لها منفردة بذاتها أو مجتمعة، لذلك تبقى الدلالة الحلقة الأوسع التي تدور في فلك المستويات اللسانية وهي ما يستخلص من كل ممارسة تحليلية سواء فهم أو تأويل أو تفسير... وأبناء اللغة يتواصلون لأنهم يحلون هذه المستويات اللسانية في القوالب التي تتراوح بين المسموع والمقروء وهو النظام الذي يتخذه فيها المرسل، على أن يتمتع المرسل إليه ويشترك معه في الفهم كونه يمتلك مرجعا مشتركا معه ²، ويعد هذا الرأي مكتملا إذا ما حصرنا اللغة البشرية في المنطوق والملفوظ والمقروء ولم نتعد ذلك وهذا جانب من اهتمام اللسانيات؛ لكن اللغة تحفها جوانب أوسع من قصرها على ما سبق.

يفضي البحث في مجال اللغة وبنيتها الدلالية إلى أن آلياتها التواصلية تتشارك فيها أدوات مكملة لما سبق من المستويات ومن بينها اللغة غير اللفظية المتألفة من أشكال تعبيرية متنوعة كالهئية والحال والسياق ولغة الجسد والإشارة... وكل هذه العناصر وأخرى هي وسائل مساعدة ومتممة للغة البشرية في شكلها الملفوظ أو الخطي التي تبقى أرقى أشكال التواصل وأهمها على الإطلاق، وهي ما ميز الإنسان في إنسانيته وقدرته على التواصل من بين الكائنات الأخرى، لكن تبقى الأشكال غير اللفظية تساهم هي الأخرى في بناء الدلالة رغم مكانة الآلة البشرية المنطوقة والخطية، ويخص بالذكر لغة الجسد التي حظيت بقسط أكبر من اهتمام الدارسين خاصة في العصر الحديث من قبل علماء اللغة والتواصل لما تشمله من سبل وما تؤديه في مجالات عديدة كالمرح وحقل الإعلام والفن إضافة إلى بعض حقول الأدب كالخطابة والمناظرة وما تعلق بالإلقاء خاصة، وتعد هذه النماذج على سبيل التمثيل لا الحصر، وبذلك فإن لغة الجسد حتى وإن خرجت عن النظام اللساني ومستوياته على غرار اللغة غير اللفظية

قاطبة، فهذا لا يعني أن تتعارض مع هذا النظام اللساني تواصليا أو في تأليف الدلالة بل قد تعد قطعة منه وقد تتشاكل معه في بناء جسد الدلالة بين طرفي التلقي.

2.1 دواعي التواصل بلغة الجسد (Kinesics) :

يرى باحثون في الاتصال والتواصل البشري أن الكلام بواسطة اللغة البشرية المنطوقة وكل ما تعلق بما هو لساني، ورغم نجاعتها وقدرتها على الإبانة عن التصورات والأفكار والمشاعر...، وعلى الرغم أيضا من كونها أكثر أهمية من أي نمط تواصل آخر بصفتها الخاصية المميزة للبشر بعد العقل عن سائر المخلوقات من زاوية الأهمية التواصلية، إلا أن الإنسان في أحوال كثيرة يصادف بعض العجز في محاولته لتأدية تعبير بشكل دقيق عن شأن أو حال، فلا مناص أن يستعين بلغة الجسد والحركات بحثا عن تحقيق إيصال أو تواصل بشكل أحسن هذا يتم عن طريق الاستعانة بأدوات أخرى كلغة الجسد لذلك نجد أن راي بيردوسل -I ray. biardwhistell الذي يعد مبتكر علم الكينات -kinesics- وهو علم يهتم بالوحدات الحركية التي يكون لها معان تصاحب الكلام أو تسد مسده، وقد أحصى هذا العالم وقرر النسب الاستعمالية لها بإجراء دراسة مقارنة بين اللغة المنطوقة التي تراوح استعمالها بين 30 % و 35 % من مجمل اللغة بشكل عام وهي نسبة ضئيلة جدًا في التواصل قاربت الثلث فقط³ وهذا يستدعي البحث عن النسبة المتبقية وهي المهيمنة على الفعل التواصل والتشيير وفق ما عرضه الباحث إلى وجود أنماط تواصلية أخرى لا تقل نسبة استعمالها عن 65 % وهو ما سيجعلها مهيمنة بشكل جلي وتحوز على الثلثين تقريبا من ناحية الكم الاستعمالي وليس من ناحية الأهمية والفاعلية، لأن اللغة المنطوقة تبقى دائما عملية ولو قلت نسبيا.

وبغض النظر عما ساقه إلينا العالم اللغوي حول تفاوت النسب العلمية بشكل ملحوظ، يكفي الاعتراف بضرورة وجود لغة ملازمة ومكملة للقدرة الصوتية والخطية للإنسان أو نائبة عن ملفوظه، وعليه وجب أن يكون هذا الدافع كافيا للإحاطة بلغة الجسد ماهية ومعرفة بغية تطوير سبلها التواصلية وقراءة سيميائياتها التواصلية بشكل يجعلها قابلة للتطوير وضرورة تسليط عليها الضوء .

ما يميز لغة الجسد تاريخيا واجتماعيا بالرجوع إلى نشأتها الأولى منذ الأزل لم يعرف لها أول استعمال كرونولوجي لكن الاتفاق أنها كانت وسيلة تعبير عن الذات والكينونة وكانت وسيلة بدائية قديمة الاستعمال بين البشر مقارنة باللفظ أو الخط نظرا ليسرها وفطرة الإنسان على استعمالها وعيا أو بغير وعي؛ وأما بالرجوع لاستخدامها فرديا نجد أنها من الملكات التي لا يتلقاها الإنسان بالمدارس في بدايتها بل تعزى نشأتها إلى انبثاق فطري أقرب إلى العفوية منذ النشأة الأولى للإنسان ثم تتحول شيئا فشيئا إلى

حركات خاضعة للوعي مؤدية لمعاني ودلالات في الغالب مع بقاء جزء منها عفويًا، فلا يمكن بأي حال إخضاعها كلها للوعي،⁴ فالأطفال في بدايتهم تكون لغة جسدهم خارجة عن تحكّمهم ومع تقدم سنهم تصبح طيعة أكثر بتحول بعض هذه الحركات الجسدية اللاشعورية إلى حركات متحكّم فيها وتطرأ عليها تحسينات تدريجيا تتلاءم وتطوّر القدرة التّواصلية والتي بدورها تخضع لعامل السن والتعلم تتشابه في هذا مع تطور الجهاز النطقي والصوتي.

وفي الصّد ذاته أجريت دراسات تجريبية حديثة لتأكيد أن لغة الجسد فطرية المنشأ عند جميع البشر سواسية بعيدا عن العرق أو الثقافة...كانت الدراسة حول تقصي ملامح وإيماءات الوجه عند "خمس ثقافات متباينة، وقد كانت نتائج دراساتهم تدل على أن الثقافات الخمس التي أقيمت عليها الدراسة تلتقي على الإيماءات الوجهية نفسها، وهذا أفضى إلى التقرير بأن تلكم الإيماءات مما ينتسب إلى الفطرة التي أودعها الله فينا"⁵ فالبكاء والضّحك والابتسامة وتقطيب الحاجبين...هي تعابير نمطية مشتركة عن الفرح أو الحزن أو الغضب وهذا مسلم به مشترك بين جميع الأمم لا يختلف عليه اثنان نقيض المنطوق الذي يختلف في كيفية التعبير بحسب اللغات وحتى الأشخاص في اللغة الواحدة.

2. الوسائل الإجرائية للغة الجسد في التلقي :

على صعيد مختلف عن ماهيّة لغة الجسد وعلاقتها باللغة اللفظية وغيرها أداء، يكفي أن غايتهما الوظيفية هي الفهم والإفهام في موقف تواصلية أو إيصالي بين طرفي التّواصل وهما المرسل والمرسل إليه أو الملقي والمتلقي، "والاختلاف بينهما ينحصر أو يكاد ينحصر في أن وحدة الحركة الجسمية والاشارة وحدة لغوية صامته تعتمد على العين في حين تعتمد الوحدة اللّغوية اللفظية المنطوقة على الأذن"⁶ ولا يمكن إهمال دور الحواس في تحديد كيفيات التلقي وتشكيل صورته العامة، فالأذن في حالة تلقيها ألفاظا فقد تتدخل أبعادا ترصدها هذه الحاسة باختلاف عن الحواس الأخرى فترصد في اللفظ النبر والتنغيم والجهر والهمس والصمت... وكلها صبغات يتحلّى بها المنطوق من الكلام تؤثر وتغير وترسم دلالة الكلام وتتحكم في صورته السمعية ولا يسع للعين إدراك ذلك، بينما ترصد العين السكون والحركة والهيئة والإشارة...ولا يسع الأذن ذلك وتساهم هي الأخرى في بناء فسيفاء الدلالة، بيد أن الأهميّة ترجح قوة اللفظ على لغة الجسد لأنها أكثر إبانة ودقة في حال استخدام إحدهما منفردة وبمعزل عن الأخرى، والاستعانة باستخدام الحاستين الاثنتين يعين على التّواصل السليم فالصورة دون سمع تقصر، والسمع دون صورة كذلك يقصر.

وفي دراسة مقارنة بين تداول اللغتين يرى باحثون أن لغة العين هي لغة عالمية كونها أيسر إلهاماً حيث تعد " اللغة الاشارية التي تعتمد في أدائها على العين تعد لغة عالمية يشترك فيها أفراد الجنس البشري عامة كالأشعار الدالة على الجوع والعطش والألم والحزن والندم والفرح والسرو، وما إلى ذلك من أمور، في حين أن اللغة اللفظية المنطوقة تتسم بالطابع المحلي الخاص بها وتخضع لأعراف المجتمع الواحد"⁷ وهكذا فإن لغة العين أيسر تداولاً بين المجتمعات لسهولة الاستيعاب وبنيتها البسيطة في حين تتسم اللغة اللفظية المنطوقة بالتعقيد والصعوبة ما يجعل التواصل بها أقل من نظيرتها الحركية لغير المتكلمين بها، وكنموذج تبسيطي يمكن الاستدلال بالموقف التواصلّي الآتي: عند التقاء شخصين لا يتحدثان اللغة نفسها، فإنهما سيحاولان التواصل بادئاً باللغة المنطوقة لكن النتيجة ستكون ضالة نسبة الفهم والإلهام، لكن عند الاستعانة بلغة الجسد قد يتحسن التواصل ولو نسبياً وهذا سيثبت أنها أيسر وأسرع استخداماً، ويمكن أن تنوب عن اللفظ أو تساعد.

3 . سيميائية حركة الصورة الجسدية في بناء الدلالة و بلورة الفهم والإلهام :

تعد الصورة المتحركة للجسد عاملاً مهماً في اكتمال عملية التلقي واكتمال عمليتي الفهم والإلهام، إذ يتعذر على من لا يبصر تلقي جل ما يستخدمه المرسل من إحياءات جسدية دلالية وهو بذلك يغفل عن الكثير من الدلالات الضائعة وقد تعيقه عيناه أحياناً عن القبض على كنه الرسالة فيكتفي ببعض الفهم أو يفهم المعنى بشكل عام غير دقيق، أو يتعذر عليه ذلك كلياً أحياناً، إذن يمكن للصورة حمل دلالات تتم عبر طريقتين تواصليتين :

أ - مزج الصورة الجسدية المتحركة مع الصمت :

إذا مزجت الصورة بحالات الصمت في مواقف معينة فإنها قد تساعد على "إثارة التشويق في السرد، وفي كثير من الأحيان كان يلجأ إلى المخرجون السينمائيون إلى الصورة وحدها وحذف الصوت الملفوظ والموسيقى المصاحبة فيتحول الصمت حينئذ إلى سند للصورة في التعبير عن دلالات الخوف والفرع والقلق وهذا ما يطلق عليه بلاغة الصمت"⁸ وهناك أيضاً المسرح الصامت في فنون العرض، كما ورد في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام صمته واكتفائه بالإشارة للدلالة عن معنى، ويتعلق الصمت الدال مع الصورة الجسدية الحاملة لوضعيات جسدية مبينة عن تعابير ونائبة كلية عن كل ما هو ملفوظ، وقد تعددت الحالات التي يكون فيها الإنسان مكتفياً ومستغنياً ولو ظرفياً عن الكلام واللفظ والاقتصار على إنابته بالصمت ولغة الجسد ويوفي السياق التواصلّي حقه "ومن وجهة نظر دوسوير - De Saussure- تعتبر الصورة نظاماً من العلامات غير اللغوية و اللغوية معاً"⁹ تكون حاملة لدلالات أو قد

تكون مجردة من ذلك، فليس لكل صورة معنى وليس لكل إشارة جسدية تعبيراً تواصلياً تماماً مثلما ليس لكل منطوق معنى .

ب - مزج الصورة الجسدية مع اللفظ :

لقد حدد دوسوسير-De Saussure- في البداية معالم السيميائيات بأنها " دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، إذ العالم يضج بالعلامات غير اللسانية، الكثير منها دال وبعضها غير دال ولكن تبقى اللغة البشرية هي أحسن تلك العلامات لاحتوائها على نظام منسق متميز وفعال في التواصل بين البشر"¹⁰ وهكذا تترسخ فكرة احتلال اللغة البشرية لمكانة مرموقة تخولها أداء تواصلياً راقياً خاصة إذا تضافر الجانب اللغوي اللفظي المنطوق مع الجانب غير اللفظي تحديداً لغة الجسد منه لتشكيل جسر تواصل بين طرفي التلقي، والصمت ولو تلاقح مع لغة الجسد فلن يضاهي تلاقح الصوت مع لغة الجسد ويبقى الاختلاف في الدرجة الفهمية ومدى القدرة على إيصال الرسالة؛ وحتى مع مزج الصورة الجسدية بالملفوظ ستبقى خاضعة لعوامل أخرى " لأن البنية الإدراكية لا تدل من تلقاء ذاتها، فالمعنى داخلها يستدعي استحضار التجربة الثقافية كشرط أولي للامساك بممكنات الدليل"¹¹ لأن البنية الإدراكية للصورة الجسدية تستخلص من التسنين الثقافي السائد في المجتمع الخاضع للعرف والاصطلاح ويخضع لخارجها إذا كان المرسل ليس ضمن دائرته المجتمعية، لذلك التقاط وتلقي لغة الجسد بالعين يمر بمرحلة التأويل قبل التفسير والفهم المبسط مروراً على خلفيات سياقية تتحكم في بلورتها النهائية ما يسمى بالنسق الثقافي.

يمكن القول أن الصورة الجسدية استعمالاً هي عامل متبادل في التلقي بين طرفيه ولا تكون حكرًا على إحداها فقط " فالصورة تستعين بالملفوظ الصوتي المتجسد على شكل حوار أو مناجاة وهي طريقة تفرض على المتلقي اندماجاً كلياً، بحيث يتحول إلى مستمع ومشارك في الحوار"¹² لأن الهدف الذي تصبو إليه عملية التلقي هو إيجاد رابط بين عناصر الرسالة التواصلية : المرسل، المرسل إليه، الرسالة، قناة التواصل، اللغة، ولم تكن لغة الجسد قصراً على المرسل فيمكن للمتلقي أن يتفاعل جسدياً وهذا يمر عبر مرحلتين :

- تفاعل ذهني وشعوري : يتم عن طريق حدوث عملية فهم الفكرة والتأثر بالمحتوى .

- تفاعل جسدي حركي : إذ أن " المتلقي مشارك في العملية التواصلية بطريقة غير مباشرة، أي أنه يستقبل دون أن يبث، لذا نلفيه يتأثر وينفعل بالبكاء و القلق والتعصب والضحك محاولاً بهذا الاندماج

الكلي في العملية التواصلية¹³ والانتقال من الحالة الساكنة إلى حالة حركية تجسدها أعضاء الجسد يتطلب في العمل الفني المرور على الفهم الذهني والتأثر الشعوري ثم تتبلور حركات جسدية متناغمة مع الفهم النابع عن الفكرة وما يصحبها لتتشكل صورة تعبيرية مكتملة، فتتحول لغة الجسد من وسيلة تبليغية من لدن المرسل إلى وسيلة تفاعلية يقوم بها المستقبل .

4. دراسة تحليلية لسميائية لغة الجسد في موقف تواصل - لغة العين أنموذجاً - :

تحتل العين مكانة مهمة في التواصل الجسدي، فتكفي لغتها مجازاً بلغة العيون، لكثرة دلالاتها وهيئاتها واشتمالها الواسع على رصيد لغة ثرية، وقد تعد تصنيفاً على رأس أعضاء الوجه بياناً، لأن باستطاعتها أن تعبر على كل التقلبات النفسية ويمكنها أيضاً أن تترجم اللغة المنطوقة الصائتة وتحولها إلى لغة صامتة دالة لا تقل أهمية وشأناً، وربما تصبح أبلغ من القول، " فعندما تنتظر عينا لعين إلى شخص آخر ينشأ أساس حقيقي للاتصال، ففي حين أن بعض الأشخاص يجعلوننا نشعر أننا مرتاحون جداً عندما يتحدثون إلينا، فإن أشخاصاً آخرين يجعلوننا نشعر أننا غير مرتاحين ومنزعجين، وبعضهم يبدو غير جديرين بالثقة، إن لذلك علاقة رئيسية بطول المدة التي ينظرون فيها إلينا أو يشغلون نظرهم المحدقة وهم يتحدثون¹⁴، فالعين ترجمان الأفكار وبوابة تواصلنا مع الآخرين حتى قبل أن يتكلموا سواء أكانت من خلال الفراسة، أو من خلال توظيفها للتعبير عن مواقف تواصلية، كما يرتبط بمعانيها الدلالية النظر والبصر والإغماض والاحمرار والغمز والترميز...، وكلها لواحق افصاحية لأحوال متعددة قد تتجاوز خلقها كأداة للرؤية فقط، فتحولها من وظيفتها الطبيعية إلى وظائف تواصلية متعلقة بلغة الجسد، ويمكن للعين أن تجسد عشرات المقاصد والمعاني لدى المتلقي يذكر منها:

" - العين المفتوحة : تمثل الغيظ أو الخوف أو الإعجاب

- العين المغلقة : تشير إلى التواضع أو البغضاء
- العين المتحركة يمينا وشمالا : تنبئ عن الرياء والاشمئزاز
- العين المتطلعة إلى السماء : ترمز إلى الدعاء
- العين المستقرة في نظراتها : تفصح عن الشدة والإثبات والرجاء.
- العين اللامعة : ترجمان عن الظفر.
- النظر الشرز : يترجم الاحتقار والاستهانة والكراهية
- النظر إلى الأرض : تعبر عن اليأس والخشوع والحياء¹⁵

لعل أن أول ما يلفت المتلقي لدى وجوده مع المخاطب هو النظر إلى عيونه وكلا طرفي الخطاب يجعلان من البصر بابا لولوج الخطاب قبل بث الرسالة، وتعد العين أيضا من قنوات التواصل الجسدي وسبيلا آخر لنوع من الخطاب الصامت على مستوى الوجه، لأن الاهتمام ينشئ أولا بالتركيز على التواصل البصري ثم يلي ذلك بقية الشروط الأخرى.

من بين ما حملته معاني العين في الأحاديث النبوية الشريفة في معنى ما روي عن " امرأة جاءت تستفتي الرسول صلى الله عليه و سلم، وكان الفضل جالسا إلى جانب النبي، فجعل الفضل ينظر إليها نظرة إعجاب، وهي الأخرى نظرت إليه أيضا، فما كان من النبي عليه الصلاة والسلام إلا أن صرف بيده الشريفة وجه الفضل إلى الشق الآخر ¹⁶ ليغض بصره وينهاه بلغة الجسد عن هذا الفعل الذي يتعارض مع التشريع وليمنع تلك النظرات، وهنا كان النبي عليه الصلاة والسلام متلق للغة العيون، حينما أدرك معنى أن تلك النظرات التخاطبية وفحواها بين الطرفين لم يكن غرضها مجرد النظر فقط، بل هي نظرات إعجاب تتعدى النظر إلى التعبير عن حالة نفسية أخرى وهي انفعال واندهاش نفسي يحدث نتيجة الإعجاب، فيجعل الترامق العيني وسيلة للتعبير عنه، لذلك حال الرسول عليه الصلاة والسلام دون استمرارها بإشاحتها إلى جهة أخرى عن طريق صرف الوجه إلى اتجاه آخر، ويستجلي هذا الموقف التواصلية نوعين من لغة الجسد التي نابت عن كل تصرف قولي، والتي استطاعت أن تحقق تواصلنا ناجحا حمل مقصدية واستطاع تحقيق الإفهام وتبليغ رسالة يستشف منها ما يأتي:

- أولا: لغة العيون التخاطبية والمتفاعلة (النظرات المتبادلة بين المرسل والمستقبل)، مع وجود رسالة تواصلية بين الصحابي و المرأة (رسالة إعجاب)، بحضور أيضا متلق آخر مؤول وهو الرسول عليه الصلاة والسلام الذي استطاع فك شفرة لغة العيون بين الطرفين (لغة جسد)، ثم حولها إلى مفهوم ثم إلى مقصد من خلال سن حكم ديني يتمثل في : النهي عن طريق ترجمة جسدية متمثلة في غض البصر.

- ثانيا : لغة اليد الناهية : (اليد الشريفة للنبي عليه الصلاة و السلام)، ويستنتج أنه بالإمكان في عملية التواصل إتاحة استعمال أكثر من عضو في لغة الجسد للدلالة وللمساعدة على استيعاب الأحكام وترسيخ المعاني، تماما مثلما نلجأ إلى التنوع الموجود في الألفاظ وثرائها.

- ثالثا: أمكن التخيير في هذا الموقف التواصلية بين استعمال اللغة المنطوقة ولغة الجسد جنبا إلى جنب كما أمكن الاستغناء عن إحداها وفق ما تقتضيه الضرورة التواصلية.

- رابعا: لغة الجسد هي لغة يتداول على استعمالها الطرفين المرسل والمستقبل في بعض المواقف.

5. خاتمة:

يخضع التواصل البشري في إبانته عن الدلالة لمبدأ التطور، كونه أضحي قابلاً للتحسين والإضافة، وهو يشمل أدوات إجرائية فعالة تتراوح بين اللغة اللفظية المنطوقة واللغة غير اللفظية، وبوجود هذين العنصرين بات الإنسان قادراً على التعبير عن أفكاره ومشاعره بصفة أدق، وقد شهدت العلوم الحديثة طفرة كبيرة في موازنتها بين الاهتمام بهما لاسيما ما تعلق باللغة غير اللفظية وأبوابها المختلفة وتحديد لغة الجسد منها والتي لم تلق قديماً الاهتمام ذاته الذي حظيت به اللغة اللفظية المنطوقة، وهذا ما فتح أبواب البحث والاجتهاد في هذا المضمار ومن جملة ما توصلت إليه هذه الدراسة:

- اللغة البشرية الملفوظة هي أرقى وأهم أنواع التواصل.
- اللغة غير اللفظية عامة ولغة الجسد تحديداً تحتل حيزاً أوسع في الاستعمال رغم احتلالها المرتبة الثانية أهمية.
- يمكن استنباط دلالة وسميائية لغة الجسد منفردة وبمعزل عن الملفوظ، كما يمكن تظافرها معاً.
- طرفاً الرسالة المرسل والمرسل إليه يتاح لهما التواصل بلغة الجسد في مواقف تفاعلية عدة لتأدية موقف تواصل.
- تختلف الحواس المساعدة على الاستقبال بين اللغة اللفظية ولغة الجسد، كما تختلف درجة استيعاب الوسيلتين من منطلق السهولة والصعوبة.
- الصورة الحركية للغة الجسد قادرة على تحريك الدلالة وبنائها كما يمكنها أن تتلاقح مع الصمت واللفظ.
- لغة العيون من بين أهم أعضاء الجسد إبانة وصناعة للدلالة.
- يمكن استخدام أكثر من آلية واحدة في لغة الجسد من خلال الاستعانة بأعضاء مختلفة في موقف تواصل واحد.

بعد استطراد هذه النتائج التي تعد على سبيل التمثيل لا الحصر، يمكن القول أن لغة الجسد هي لغة مهمة جداً والبحث في سيميائيات دلالاتها ولغة حركاتها يفتح مجالاً للبحث عن إمكانية تععيد هذه اللغة والسعي لإيجاد مكانة لها أكاديمية.

5. قائمة المراجع:

الاسم الأخير، ثم الاسم الأول للمؤلف(ة)، (سنة النشر)، عنوان الكتاب، بلد النشر، الناشر.

- ¹ عرار مهدي أسعد، (2007م)، البيان بلا لسان دراسة في لغة الجسد، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، ص 19.
- ² ينظر: المرجع نفسه ص 19.
- ³ ينظر: النوري محمد جواد، (2018م)، لغة الجسد علم الكينات، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، ص 49، 50.
- ⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 52.
- ⁵ عرار مهدي أسعد، البيان بلا لسان، ص 31.
- ⁶ النوري محمد جواد، لغة الجسد علم الكينات، ص 59.
- ⁷ المرجع نفسه، ص 59.
- ⁸ بلية بغداد أحمد، (2008م)، سيميائيات الصورة، وهران، الجزائر، منشورات دار الأديب، ط1، ص 69.
- ⁹ المرجع نفسه، ص 69.
- ¹⁰ بنكراد سعيد، (2015م)، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، المغرب، منشورات دارالأمان، ص 60.
- ¹¹ العرابي لخضر، (2006م)، المدارس النقدية المعاصرة، وهران، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص 155.
- ¹² عبد الله ثاني قدور، (2005م)، سيميائية الصورة مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم، وهران، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص 178.
- ¹³ بلية بغداد أحمد، سيميائيات الصورة، ص 89.
- ¹⁴ عقيل محسن، (2010م)، الفراسة في معرفة لغة الجسد، بيروت، لبنان، دار المحجة البيضاء، ط1، ص 386.
- ¹⁵ بن عيسى مبروك، (2010م)، التحفة السنية في الخطابة المنبرية، عين مليلة، الجزائر، دار الهدى للطباعة و النشر، ص 70.
- ¹⁶ ينظر: أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل البخاري (ت 265 هـ)، صحيح البخاري، تح الرفاعي قاسم، (1997م)، بيروت، لبنان، دار الأرقم للنشر، ط1، كتاب الحج، الباب (1415\963)، 1\637، و ينظر كتاب الاستئذان، الباب (1103\652)، 4\392.